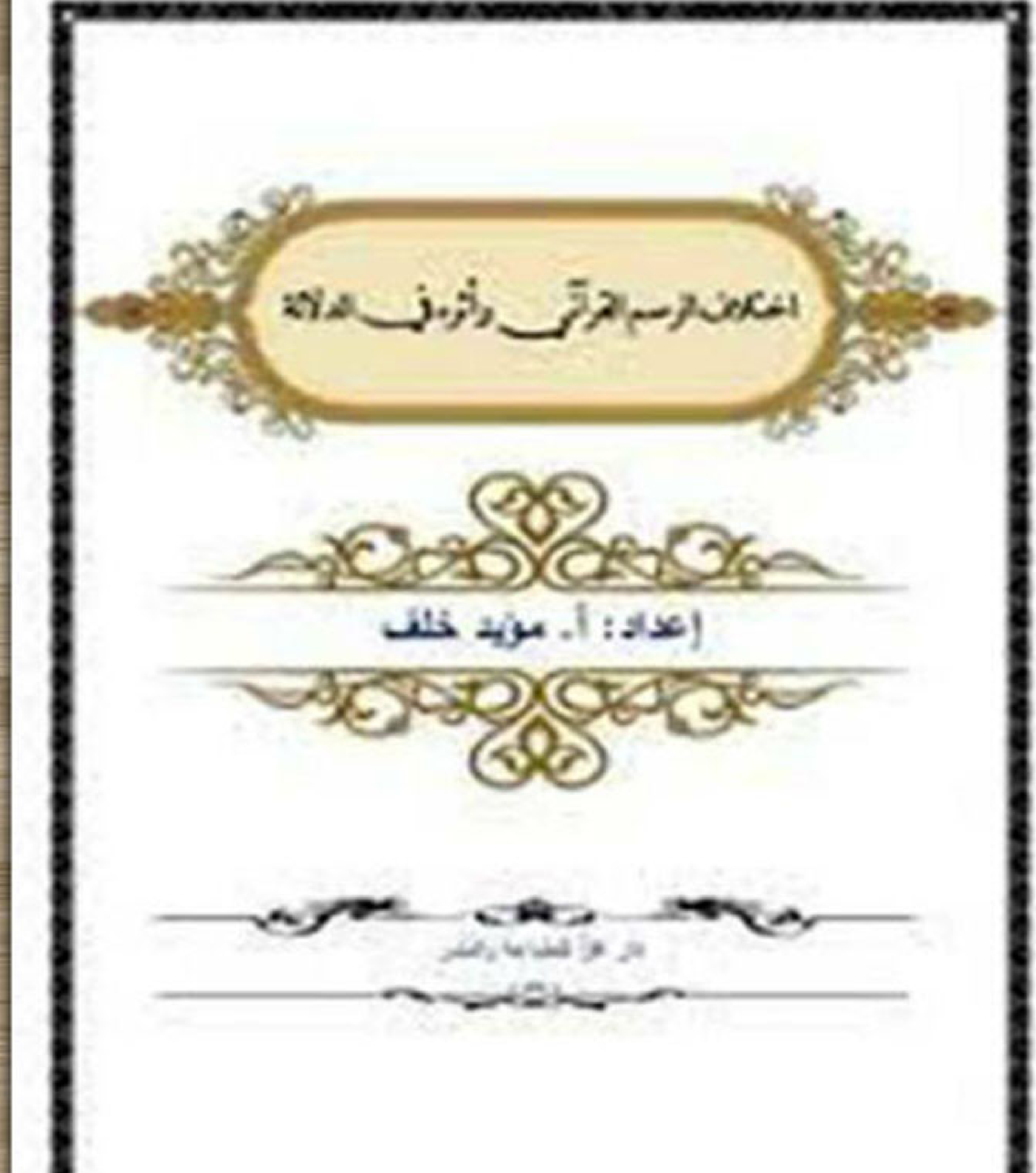


اختلاف الرسم القرآني وأثره في الدلالة
إعداد: أ. مؤيد خلف

اختلاف الرسم القرآني وأثره في الدلالة

إعداد أ. مؤيد خلف

هذا بحث في اختلاف الرسم العثماني، وأثر في الدلالة، كما تناوله العلماء القائلون بالتوقيف في رسم المصحف الشريف. وهذه الدرسة تسعى إلى النظر في بعض الأسرار والحكم التي علل بها أصحاب التوقيف رسم المصحف الكريم، المخالف لقواعد الكتابة العادية النحوية.

المقدمة

هذا بحث في اختلاف الرسم العثماني، وأثر في الدلالة، كما تناوله العلماء القائلون بالتوقيف في رسم المصحف الشريف. وهذه الدرسة تسعى إلى النظر في بعض الأسرار والحكم التي علل بها أصحاب التوقيف رسم المصحف الكريم، المخالف لقواعد الكتابة العادية النحوية.

فما أصل الخط العربي؟ وما المقصود بالرسم العثماني؟

ومن كتاب هذا الرسم؟ وهل للخط العثماني قواعد في الكتابة؟

وهل يكمن وراء الرسم العثماني قصور أم حكم بلاغية معجزة؟

وما هي دلالات الاختلاف في الرسم العثماني عن الخط العادي؟

وكيف تناول القائلون بالتوقيف تعليل اختلاف رسم الكلمات نفسها في مواضع متفرقة من المصحف؟

لعل هذه الدرسة رغم تواضعها، وصغر حجمها تمدنا بالإجابة عن هذه التساؤلات.

هذا وسيتبين من خلال هذه الدرسة، مدى التكلف في استنباط دلالات وحكم؛ لاختلاف الرسم العثماني عن الرسم العادي، ومدى التعارض والتحكم فيما ذهبوا إليه من أسرار، كما زعموا.

لقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث:

تناول المبحث الأول بعنوان الكتابة العربية؛ الكتابة قبل الإسلام، وأصل الخط العربي.

وتناول المبحث الثاني بعنوان الرسم العثماني للقران الكريم؛ نبذة تاريخية، والرسم أو الخط العثماني، وقواعد الخط في المصحف العثماني.

وأما المبحث الثالث، والأخير بعنوان دلالات الاختلاف في الرسم العثماني، فتناول ما يكمن ورء الرسم العثماني من قصور كتابة أو حكم بلاغية، ودلالات الرسم العثماني فيما فارق الخط العادي.

حيث اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي والتحليلي؛ لتوافقهما و موضوع الدرسة، فقمت بمرجعة أدبيات البحث، من خلال المكتبات العامة، وجمع البيانات ذات العلاقة.

وقد قمت بتصفح مواقع الانترنت، وكذلك محركات البحث في المكتبات الالكترونية؛ لعلي اعثر على كتاب يتخصص في رفض نظرية التوقيف في الرسم العثماني، وتفنيدها، وكشف عوارها، وتهافت دلالاتها، إلا إنني لم أجد إلى ذلك سبيلا.

أما الكنب فلم أعثر على كتاب متخصص، فيما ذهبت إليه من رد للتعسف في استخرج الدلالات، وإنما عثرت على كتب قديمة وحديثة، يؤمن أصحابها بالتوقيف للرسم العثماني، ويأخذون باستخرج الحكم والأسرار من هذا الرسم، من مثل كتاب: الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني، للدكتور حمدي الشيخ، وكتاب: الإعجاز القراني في الرسم العثماني، وتنبع أهمية هذه الدرسة من حيث إنها تناولت هدا الموضوع من الزاوية الأخرى، التي طواها البحث التقليدي، وضرب عنها الخلف صفحا وكأن التوقيف أمر مسلم به، على ما فيه من تهافت وتعسف، وتناقض يقوض بناءه بالكلية، و يا ليتهم عندما يتساءل أحد، وهو يقرأ القرآن العظيم؛ لماذا بعض الكلمات تكتب بطريقة مختلفة عما يعرفه من قواعد الكتابة؟ يأتيه الجواب بأنه نظام كتابي خاص بتلك المرحلة وكفى... بدل القول: إنه حكم وأسرار! وفي الحقيقة؛ هو التناقض الذي لا يكاد يبين عن أي حكم، ولا أسرار، سوى الوهم والظن المتضارب والمضطرب.

المبحث الأول الكتابة العربية

ويشمل: أولا: الكتابة قبل الاسلام ثانيا: أصل الخط العربي

الكتابة قبل الاسلام

هل ظاهرة الكتابة والقراءة كانت حاضرة قبل الإسلام؟
مما لا شك فيه أن العرب قبل الإسلام لم يعرفوا الكتابة والقراءة على نطاق واسع، وليس أدل من ذلك من شيوع الرواية، وانعدام الكتاب، على خلاف ما نجده في تاريخ الأمم الأخرى، التي تركت موروثا من الكتب يعود لقرون قبل الميلاد، وهذا لا ينفي وجود الكتابة بشكل محدود، ونطاق ضيق، لا يتجاوز بعض الملوك والسادة، والحكماء والتجار، والشعراء؛ لحاجتهم الملحة للتدوين والمراسلة، ومما يدلل على ذلك، وجود ألفاظ في معجم العرب، وأشعارهم ذات علاقة بالكتابة، كالقلم، والقرطاس، والدواة، والحبر، وغيرها، ومن أقوى الادلة على ذلك أيضا، آية الدين في القرن الكريم؛ إذ قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه... الى قوله تعالى: "وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة"!.
حيث إن الأمر بالكتابة دليل على وجود الكاتب، وأما إمكانية الرهان مع عدم وجود الكاتب فدليل على شيع العامية واتساعها.

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى هذه الحقيقة، فيقول: "إن العرب قبل الإسلام لم يكونوا أهل كتابة وقراءة(١)(٢) كما أكد ذلك الجاحظ عندما خص العرب والفرس بالخطب دون الهند، الذين لهم الكتب المخلدة، واليونانين ذوي الفلسفة، وصناعة المنطق، فقال: "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر، ولا استعانة — إلى قوله وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون(٣)

أصل الخط العربي

عند الحديث عن الخط العربي قبل الإسلام، يظن البعض أنه كان كصورته اليوم من الجودة والاتقان، والحقيقة ليست كذلك، لقد نطور الخط في رسمه للحروف، وفي قواعده الإملائية عما كان قبل الإسلام، حتى عما كان في صدر الإسلام.
لقد عرف العرب الكتابة ومارسوها في نطاق ضيق قبل الإسلام، كما كشفت عن ذلك بعض الآثار في مناطق الحضر، خاصة من اليمن والحيرة والبتراء؛ حيث تنعدم الكتابة في مناطق البداوة، كما قال ابن خلدون: "نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون، ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا أو قراءته غير نافذة(٤)
لقد كشفت هذه الآثار القليلة عن كتابات بالقلم المسند، أو قلم حمير، والقلم النبطي، والقلم الأرمي.
"والمعروف أن العرب اشتغلوا من قديم الزمن بنقل التجار عبر شبه الجزيرة العربية، بين اليمن والبتراء، وجنوب الشام، وأنه كان لقريش بوجه خاص علاقات تجارية مع أهل الشمال، وأهل الجنوب مع الأنباط، والغساسنة في تخوم الشام، ومع المناذرة واللخميين في اقليم الحيرة ومع العرب الجنوبيين في اليمن الأمرالذي أدى إلى أخذوتأثربهذه الخطوط، ولكن عندما تقارن خصائص هذه الاقلام، مع القلم المكي الذي رسم به الوحي ودون، تجد فرقا بينا، وما ورد في المصادر التاريخية القديمة من أن الخط العربي و خط المسند، كما ذهب لذلك ابن خلدون في مقدمته

---

١ الآيتان ٢٨٢-٢٨٣ من سورة البقرة-
٢أنس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ط٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٩٥م، ص٣٣-٣٤
٣الجاحظ، أبو عثمان عمرو: البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٨ م، ج٣، ص٤٩-٥٠
٤ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، د.ت. ص٤١٨

ليس بدقيق، علما أن خط المسند خط منفصل الحروف، خلافا للخط المكي أو الحجازي، وأقرب احتمال إلى نشأة الخط المكي الذي أصبح الخط الغالب بعد ظهور الإسلام، هو تطور عن الخط الارمي الذي يعرف بالنبطي.

"وقد أثبت البحث العلمي الدقيق أن العرب الشماليين اشتقوا خطهم من آخر صور من خطوط النبط، وعلى نحو ما الستعار النبط خطهم الأول عن الآرميين، واستعار العرب خطهم الأول من الأنباط... والصور الأولى للخط العربي لا تبتعد كثيرا عن صورة الخط النبطي، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية؛ بحيث أصبح خطا قائما بذاته، إلا بعد أن استعار العرب الحجازيون لأنفسهم، بقرنين من الزمان، وما تزال في الكتابة العربية حتى يومنا هذا في بعض الأقطار، وفي كتابة المصاحف بوجه خاص، آثار نبطية لم يستطع أن يتخلص منها الخطالعربيعلىطول الزمن(١)(٢)

وهذه نماذج لبعض الخطوط المكتشفة بالآثار مع توضيح لكل نموذج وزمنه:

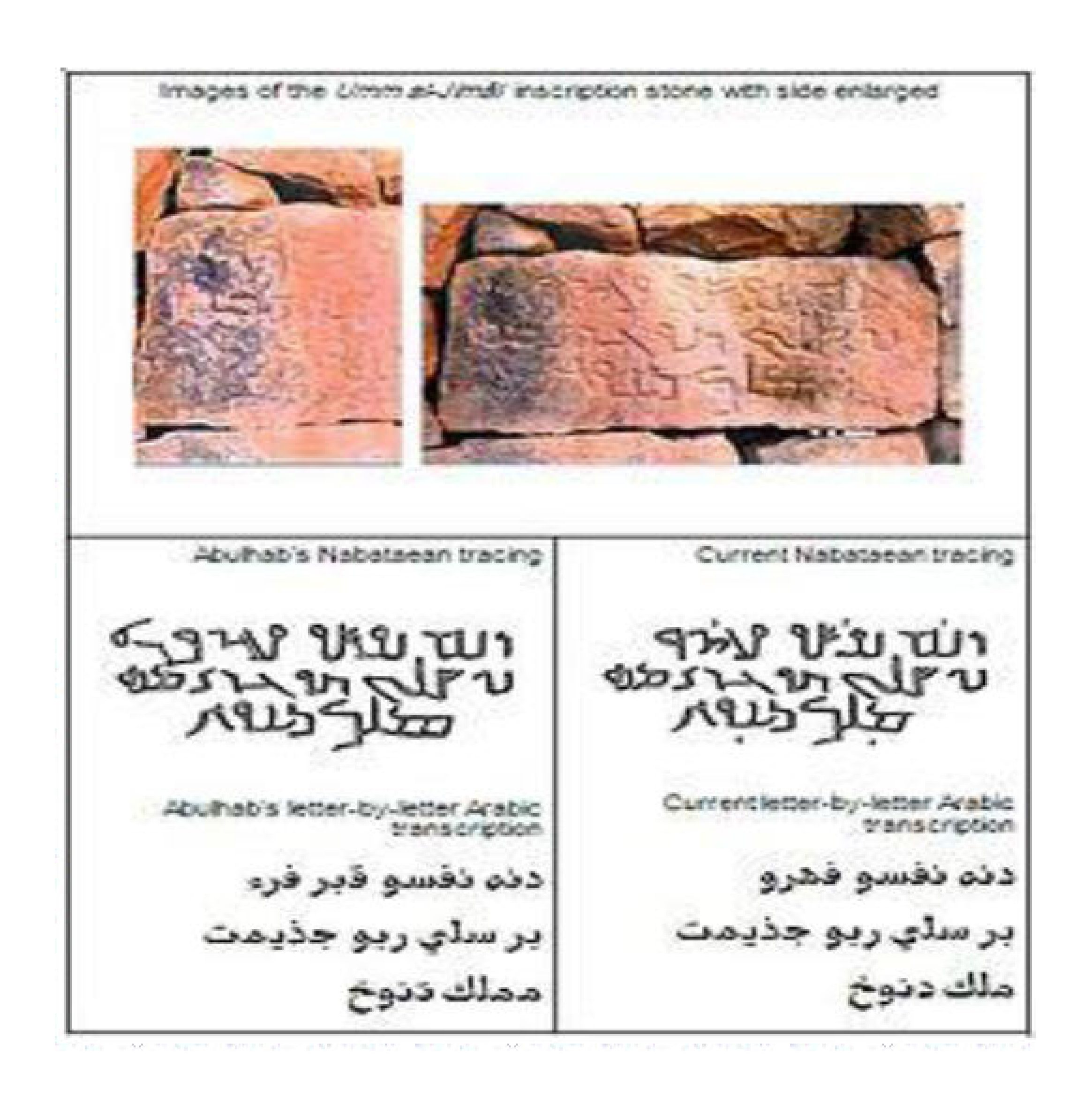
نقش أم الجمال:

عثر عليه جنوب حوران وهوبالخط الكوفي، وباللغة النبطية الارمية ويرجع إلى سنة ٢٧٠م تقريبا

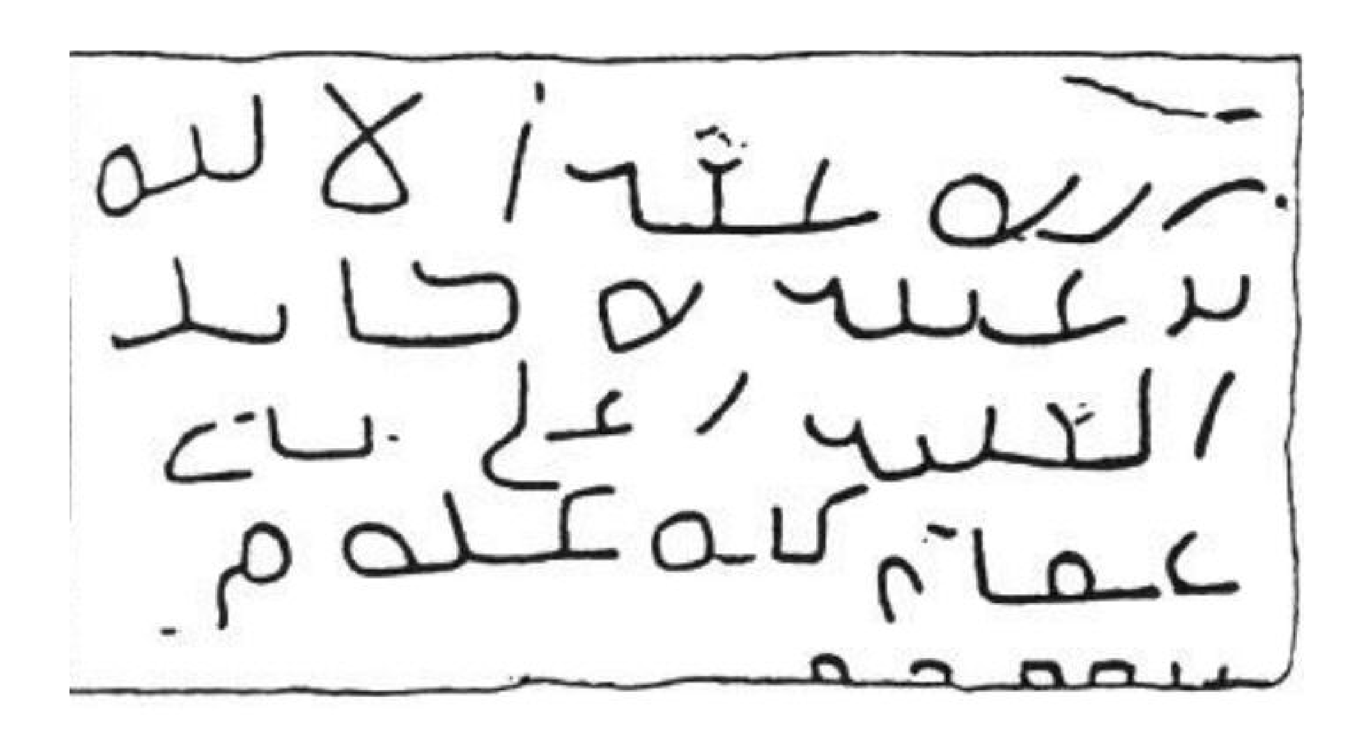
ترجمته: هذا قبر فهر ابن سلي مربي جذيمة ملك تنوخ.

١جمعة إبراهيم: قصة الكتابةالعربية، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٩٤٧ م، ص٨

٢نفسه، ص١٧ -١٨



نقشأم الجمال الثاني:
وهو أحدث نص عربي يعود إلى القرن السادس ميلادي.
ترجمته: الله غفر للآثيم ابن عبيدة كاتب العبيد أعلى بن عمري كتبه عنه من يقرؤه

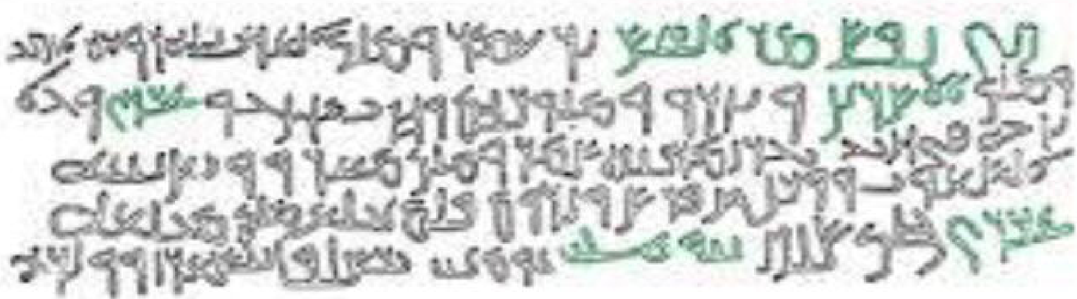


نقش النمارة

عثر عليه في النمارة وهو جبل الدروز وتاريخه ٣٨م ويعد النص العربي الأول وقد وجد على شاهد قبر امرئ القيس بالحرف النبطي، ويصل كمثال على الخط النبطي الذي اشتق منه الخط العربي الحجازي. ترجمته:
هذه نفس امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذي نال عقد التاج وملك قبيلتي أسد و نزر وملو كهم وشتت مذحجا

بالقوة وجاء باندفاع في مشارق نجران مدينة شمر وملك معدا وولى بنيه على الشعوب كلهم فرسانا للروم فلم يبلغ ملك مبلغه في القوة . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ كسلول ليسعد الذي ولده





كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين يدعوه إلى الإسلام.
نصه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى. سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ويطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا لله وإني قد قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك



٠ نقش زبد:
كتب بالحروف اليونانية والسريانية والخط النبطي المتأخر، اكتشف شرقي حلب، ويرجع تاريخه إلى ٥١٢م، ويعد هذا النقش أول وثيقة تحمل خطا عربيا قديما، فخطه كوفي إسلامي.
ترجمته:
باسم الإله سرجوبن منقدوبن امرئ القيس



نقش حران:
عثر عليه في المنطقة الشمالية من جبل الدروز، ويعود تاريخه إلى سئة ٥٦٨م، ويعد أول نص كامل بكلماته وتركيبه جميعا، وهو مثال على مراحل الانتقال من الخط النبطي إلى الخط العربي الحجازى.

ترجمته:
أنا شرحبيل بن ظالم بنيت هذا المرطول سنة ٤٦٣ بعد خراب خيبر بعام

المبحث الثاني الرسم العثماني للقرآن الكريم

الخلفاء الأربعة، وأبو سفيان، وابناه: معاوية ويزيد، وسعيد بن العاص، وولداه: إبان وخالد، وزيد بن ثابت والزبير وطلحة وسعد وعمر وخالد وغيرهم وكلما نزل عليه صلى الله عليه وسلم- من القران شيء أملاه على كتابه رضوان الله عليهم، ولقد توفي رسول الله عليه الصلاة والسلام والقرآن محفوظ في صدور كثير من الصحابة، ومكتوب على العسب، وقطع من الأديم، والألواح، والأكتاف، وغيرها، حيث تولى خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه جمع القرآن في مكان واحد، واحتفظ به عنده؛ كي لا يضيع منه شيئا، أو يتفرق بين الناس، ثم انتقل بعد وفاته إلى حفصة بنت عمر رضي الله عنه، حيث أدى اتساع الدولة في عهده إلى اختلاف الأمصار في القراءات للقرآن الكريم، فكل قبيلة تقرا بلغتها، وحدثت اختلافات بين الأمصار في القراءة، وكان المسلمون يختلفون فيما بينهم، وكل منهم يؤكد أن قراءته صحيحة، ومستندة إلى النبي، وكان سبب اختلافهم وجود صحف كتبها بعض الصحابة لأنفسهم، ولم يكن بينهم الكتاب الذي جمعه أبو بكر... ولما بلغ الاختلاف عثمان بن عفان... استقر رأي الصحابة مع عثمان بن عفان على جمع المسلمين في شتى الأمصار على مصحف واحد، وأمر بإحراق كل ما كتب الصحابة لأنفسهم .

وقد اعتمد عثمان بن عفان في مصحفه الإمام ما جمعه أبو بكر، ثم صار إلى حفصة بنت عمر، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحرث، فنسخوها في المصاحف حتى وصل عدد النسخ سبع نسخ، وزعت على الأمصار والأقاليم؛ حيث اعتمدها المسلمون، وبذلك منع عثمان الخلاف والفرقة في كتاب الله.

الشيخ، حمدي: الإعجاز الدلالى والبياني في الرسم العثمانى، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠م، ص١٤

الرسم أو الخط العثماني

ذهب جمهور علماء المسلمين إلى أن الخط أو الرسم العثماني للقرآن الكريم توقيفي، تحرم مخالفته، فلا يجوز العدول عنه مهما خالف قواعد الخط والإملاء، كما ذهب بعض العلماء إلى غير ذلك، واعتبروه اصطلاحاً تلقته الأمة بالقبول، ويعبر عن مرحلة من الكتابة لم تكن قد استقرت قواعدها ونضجت، يقول ابن خلدون: " كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الأحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدها عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه، كما يقتفى لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركا، ويتبع رسمه خطأ أو صوابا... ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط

٠،١١ ابن خلدون: المقدمة، ص٤١٩

هذا واعتبر القائلون بالتوقيف في الرسم أن ورء ذلك علل وحكم ودلالات، منها ما يدرك، ومنها ما يترك، ومنها ما يخفى على المتدبر، وإنه بهذا الرسم يمكن أن يقرأ القران على جميع القراءات الصحيحة، والمستندة إلى الرسول الكريم، وهذا ما سأعرض لبعضه في هذا البحث.

لقد خلا الرسم العثماني من النقط والضبط أو الشكل اعتمادا في القرءة على "السليقة العربية التي لا تحتاج إلى مثل هذه النقط والتشكيلات، وظلت هكذا حتى دخلت العجمة بكثرة الاختلاط، وتطرق اللحن إلى اللسان العربي، عندئذ أحس أولو الأمر بضرور تحسين كتابة المصاحف بالتنقيط والشكل والحركات، مما يساعد على القراءة الصحيحة(١)(٢) و"كان عرب الصدر الأول من الإسلام يكرهون اضافة شيء على المصحف الامام(مصحف عثمان)، ولو بقصد الإصلاح، ولكن ضرورة المحافظة على القرآن أجازت وقوع الأمر المكروه حيث كلف أبو الأسود الدؤلي لشكل أواخر الكلمات في المصحف، فاستخدم النقط بلون مخالف للون الكتابة؛ حيث جعل النقطة على آخر الحرف تدل على الفتح، والنقطة تحته تدل على الكسرة، والنقطة بين يدي الحرف(أمامه) تدل على الضم،

والنقطتين فوق بعضهما تدل على التنوين، وكان هذا أول إصلاح يطرأً على المصحف الإمام، إلى أن جاء عهد مروان بن الحكم، وقيل: عبد الملك بن مروان، حين قام يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم بوضع الإعجام للحروف، بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي؛ حيث طلب منهما تمييز الحروف المتشابهة بعلامات؛ فنقطا الحروف المتشابهة، وميزها بمداد من نفس لون الكتابة، إلى أن جاء الإصلاح الأخير، في العصر العباسي الأول حيث أضطلع الخليل بن أحمد الفارهيدي، بمهمة إبدال نقط أبي الأسود الدؤلي بالحركات المعروفة اليوم، من فتحة وكسرة وضمة وتنوين وشد وهمزة وعلامة ألف الوصل، وعلامة المد، ثم تدرج الناس في وضع الرموز التي تشير إلى رؤوس الآيات، وعلامة الوقف إلى غير ذلك من وجوه التحسين .

---

١ شعيرعبد المنعم كامل: الاعجاز القرآنى فى الرسم العثمانى، د.ت. ص١٥

٢ جمعة إبراهيم: قصة الكتابة العربية، ص ٥٠-٥١

قواعد الخط في المصحف العثماني

لقد تميز المصحف العثماني بقواعد خالف فيها ما تعارف عليه أهل اللغة في الإملاء والرسم، ونظرا لصدور ذلك من الصحابة الكرام، واعتبار علماء الدين ذلك سنة متبعة، يحرم الخروج عنها، حتى غد رسم المصحف على تلك الحالة توقيفيا من الله، وبناء على ذلك استدعى الأمر البحث عن علل، وحكم ودلالات، تكمن وراء كل مخالفة للرسم، عن قواعد اللغة المعروفة؛ وبعدما استقرأ العلماء مظاهر الاختلاف أمكن حصرها في القواعد الآتية:

"الحذف والزيادة، والهمزة، والبدل، ومد التاء وقبضها، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان(١)(٢)

فأما الحذف، فيقع في الألف، والواو، والياء، واللام في كلمة الليل. وأما الزيادة، فتقع في الألف والواو والياء.

وأما الهمزة، فتقع في طريقة كتابتها. وأما البدل، فيقع في كتابة الألف والواو.

وأما مد التاء وقبضها، فيقع في جعل التاء المربوطة مبسوطة في بعض الكلمات.
وأما الوصل والفصل، فيقع في عدد من الكلمات، مثل: إنما، كلما، أينما، بئسما، فيما، ابن أم، أم من، عن من...
وأما ما فيه قراءتان، فيقع في السين والصاد، وحروف العلة، والهمزة، وطريقة الشكل والتنقيط.
مما سبق يتبين أن ما تميز به الرسم العثماني، ويندرج فيما يقع فيه الغلط، ويمكن فيه الخطأ، خاصة إذا أخذنا بالاعتبار ضعف الكتابة حينئذ، وعدم نضج الخط، وقواعد الإملاء، وغياب التنقيط والشكل، ولايخفى على أحد اليوم مثل هذه الصعوبات التي تواجه الناشئة، أو المتعلمين من غير الناطقين بالعربية، حتى إن الخطأ يقع للمتعلمين أحيانا كثير في قواعد الهمزة، والفصل والوصل، والتاء والألف في آخر الكلمة... ومع كل هذا التطور اللغوي ما زال هناك أكثر من رأي في قواعد الهمزة؛ على سبيل المثال: قرأوا، قرؤوا// قرأا، قرآ// إذن، إذا، وغيرها، فهل يكمن وارء الرسم العثماني قصور في الكتابة أم حكم ودلالات بلاغية معجزة؟ هذا ما سأعرضه في المبحث الثالث.

---

١ ويكبديا الموسوعة الحرة الشكل والنقط
٢ شعيرعبد المنعم كامل: الاعجاز القرآنى فى الرسم العثمانى، د.ت. ص١٨

المبحث الثالث دلالات الاختلاف في الرسم العثماني

ويشمل:
أولا: هل يكمن ورء الرسم العثماني قصور في الكتابة أم حكم بلاغية؟
ثانيا: دلالات الرسم العثماني فيما فارق الخط العادي

هل يكمن وراء الرسم العثماني قصور في الكتابة أم حكم بلاغية معجزة؟

جعل العلماء الخط العربي ثلاثة أقسام، بناء على ظاهر ما أنتجته جهود الكتابة العربية، يقول الزركشي: " فحصل أن الخط ثلاثة أقسام: خط يتبع به الاقتداء السلفي، وهو رسم المصحف، وخط جرى على ما أثبته اللفظ وإسقاط ما حذفه، وهو خط العروض، فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل، وخطجرى على العادة المعروفة، وهو الذي يتكلم عليه النحوي(١)

والزركشي بذلك يجعل الرسم العثماني خطا له خصائصه، وحدوده غير القابلة للمقارنة بغيره حيث إن وراءه أسرار وحكم، وهو ما أكده حين قال: " واعلم أن الخط جرى على وجوه فيها ما زاد عليه على اللفظ، ومنها ما نقص، ومنها ما كتب على لفظه، وذلك لحكم خفية وأسرار بهية (٢)

وهذا ما ذهبا إليه الأئمة الأربعة من ضرورة التزام الرسم العثماني في نسخ المصاحف، وهو ما أشار إليه العلامة الشنقيطي بقوله:

والخط فيه معجزللناس وحائد عن مقتضى القياس لاتهتدي
لسره الفحول ولاتحوم حوله العقول قدخصه الله بتلك المنزلة
دون جميع الكتب المنزلة ليظهر الإعجاز في المرسوم منه كما
في لفظه المنظوم

---

١ الزركشي البرهان في علوم القرآن دار التراث القاهرة ص ٣٧٦
٢ نفسه ص ٢٨٠

إلا إن لابن خلدون رأي اخر، يحتمله المنطق، ويستقيم مع الفكر، وإلا كيف يكون وراء هذا الرسم حكم، ودلالات، وأسرار يعجز عنها الفحول والبلغاء، وتقصر دونها الأفهام؟! ولا بد أن الغموض مدعاة التلفيق وسبب الاحتمال، وبالتالي حدوث التقصير في الفهم، وصيرورة العجز إعجاز، يقول ابن خلدون: " ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين، من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم، ليس كما يتخيل، بل لكلها وجه، يقولون في مثل زيادة الألف في (لأذبحنه)، إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في (بأييد) إنه تنبه على كمال القدور الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمال، فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح .(١)
وفي هذا انسياق يأتي قول عثمان بن عفان رضي الله عنه للصحابة عندما انتهوا من كتابة المصحف، قال: ٠قد أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها(٢)

١ ابن خلدون المقدمة ص٤١٩
٢ ابن أبي داوود السجستاني كتاب المصاحف ج ١ ص٢٢٨

دلالات الرسم العثماني فيما فارق الخط العادي

سأتناول في هذا المبحث، ما يحقق الكفاية، في بيان منهج العلماء، الذين رأوا عللا وأسرارا يخفيها الخط العثماني، وسأعرض من تلك الدلالات والمعاني، بما يفي بحاجة البحث دون الحصر والاستقصاء التام لجميع الكلمات المخالفة؛ وذلك لتشابه التعليل، واتفاق المقاصد لديهم.
دلالة الحذف)

"إذا حذف حرف من الكلمة، أو بطنت حروف فيها، ولم تكتب، ينقص مبنى الكلمة، فيتقص معناها، أو يكون لها معنى باطن، قد يدرك، وقد لا يدرك، أو تكون دلالة على سرعة الحدث، أو انكماش المعنى، أو ضغطه، أو تلاحم أجزاء معنى الكلمة، وهذا كله حسب موقع الكلمة في الأيات(١).

- حذف الألف:

طائف __ طئف:

جاءت كلمة طائف في القرآن الكريم في موطنين؛ الأول في قوله تعالى: "فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون(٢) والثاني في قوله تعالى: "إن الذين اتقوى إذا مسهم طئف من الشيطن تذكروا فإذا هم مبصرون(٣). ففي الآية الأولى وردت كلمة الطائف مضافة إلى قدر الله في سياق العقاب من الله لمن ضيعوا الزكاة، وعليه جاءت بدون حذف أو نقص؛ لتدل على عظمة عقاب الله للمانعين، وفي الآية الثانية؛ حيث جاءت محذوفة الألف صادر عن الشيطان؛ لتدل على ضعفه أمام المؤمنين، وسرعة وسوسته، واختلاسه لهم.

---

١ شعير الإعجاز البياني في الرسم العثماني ص ٢٢
٢ الآية ١٩ من سورة القلم
٣الآية ٢٠١ من سورة الأعراف

ضعفاء — الضعفؤا:

قال تعالى: "وله ذرية ضعفاء(١) وقال عز وجل: "وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفؤا(٢) .

فإذا تدبرنا الآيتين الكريمتين "نجد أن كلمة ضعفاء بالرسم العادي تدل على ضعف عام طبيعي معهود... وأما الأخرى فجاءت برسم مختلف ودليل على ضعف غير معهود(٣).

الطلق:

وردت في القرآن مرتين بدون ألف في قوله تعالى: " وإن عزموا الطلق فإن الله سميع عليم(٤)، وقوله تعالى: "الطلق مرتان(٥) .

"يوحي حذف الألف بأن الطلاق آخر علاج للحياة الزوجية، ويجب على المؤمنين أن يضيقوا سبل الطلاق، لما له من آثار ضارة بالمجتمع الإسلامي، فانكماش اللفظ دليل على قلة انتشار

الطلاق؛ ولذلك يجب أن يكون في أضيق نطاق، وفي أضيق الأمور عند أمس الحاجة إليه(٦) .

كتب--كتاب:

قال تعالى: " كتب فصلت آياته(٧) وقال تعالى: ""لكل أجل كتاب(٨).

---

١ الآية ٢٦٦ من سورة البقرة
٢ الآية ٤٧ منسورةغافر
٣ ينظر: الشيخ: الإعجاز الدلالي والبياني في لرسم العثمانى، ص ١ ٩
٤ الآية٢٧٧ من سورة ل بقرة
٥ الآية ٢٢٩ من سورة البقرة
٦ : الشيخ: الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثمانى، ص٩١
٧ الآية ٣ من سورة فصلت
٨ الآية ٣٨ من سورة الرعد جاء حذف الألف؛ ليلفتنا إلى أن القرآن أنزل عربيا؛ فلنتدبر ونعقل وبغير ألف في أربعة مواضع و هي مقيدة بأوصاف مخصصة(١) كالآجال أو الإضافة إلى اسم الله، قال تعالى: " اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك(٢) .

قرءن- قرءان:

حذفت ألف (القرن) في حرفين، هو فيهما مردف للكتاب في الاعتبار، قال تعالى من سورة يوسف: "إنا أنزلناه قرءنا عربيا(٣) وفي الزخرف: "إنا جعلناه قرءنا عربيا(؛) والضمير في الموضعين ضمير الكتاب(٥) .

وعندما يجد أصحاب التوقيف في الرسم آيات تثبت الألف في نفس سياق ما ذهبوا إليه عند حذفها، مثل قوله تعالى: "كتب فصلت آياته قرنا عربيا لقوم يعلمون(٦) فيعللون ذلك بأن "القرآن أدنى إلينافيلفهممن الكتاب وأظهر في التنزيل(٧) ولا يخفى ما في ذلك من تمحل وتحكم، فبمثل هذا المنهج لن تعدم مخرجا لأي أمر مهما كان حظه من الحق أو البطلان. أبوب-أبواب:

حذفت الألف في قوله تعالى: "غلقت الأبوب(٨) فكلمة (غلقت) تدل على التكثير في العمل، فيدخل به أيضا ما ليس بمحسوس من أبواب الاعتصام، فحذفت الألف لذلك، وكذلك: "وفتحت أبوبها(٩) فحذفت لأنها من حيث فتحت ملكوتية علوية، و"

مفتحة لهم الأبواب(١٠) لم تحذف فهي ملكية من حيث هي لهم فثبتت الألف، و "قيل ادخلوا أبواب جهنم(١١)

---

١ شعير الإعجاز القرآني في الرسم العثماني ص ٢٦ ؟الآية ٢٧ من سورة الكهف
٣ الآية ٢ من سورة يوسف
٤ الآية ٣ من سورة الزخرف
٥ الزركشي البرهان في علوم القرآن ج ١ص ٣٨٩
٦ الآية ٣ من سورة فصلت
٧ الزركشي البرهان في علوم القرآن ج ١ص ٣٨٩
٨ الآية ٢٣ من سورة يوسف
٩ الأية ٧٣ من سورة الزمر

١ الآية ٥٠ من سورة ص

١١ الآية ٧٢ من سورة الزمر

ثابتة لأنها من جهة دخولهم محسوسة سفلية، وكذلك "سبعة أبواب(١) من حيث حصرها العدد في الوجود ملكية فثبتت الألف(٢).
انظر كيف جعلوا قاعدة من اجتهادهم، ثم أخذوا يطبقون المرسوم باختلافه عليها، وهي قاعدة مرنة جدا، لن تقصر عن استيعاب أي تناقض، بتأول مفتح، فحذف الألف يدل على ملكوتية، وثبوتها ملكية، وبناء على ذلك فلن يضيق بك تأويل، ولن تعدم مخرجا، لأي حالة كانت في الرسم والسياق، وهل هذا من الحكمة في شيء؟ أليس الحكمة بوضع الأمرد موضعه المناسب؛ من حيث العقل، والحق المدرك؟!

بسم الله- باسم ربك:

وردت البسملة كاملة في فواتح السور ١١٣ مرة، بدون ألف بعد الباء، ووردت كذلك بدون ألف في قوله تعالى: "بسم الله مجريها ومرسها(٣) ووردت كذلك في سور النمل في قوله تعالى: "إنه من سليمن وإنه بسم الله الرحمن الرحيم(٤)، وفي كل المرات التي وردت فيها (بسم)، ورد بعدها لفظ الجلالة صريحا، فتكتب بدون ألف بعد الباء، وهي تعني الابتداء أي أبدأ بسم الله الرحمن الرحيم، وحذف الألف يوحي بالاتصال، والقرب بين العبد وربه، فلا فاصل ولا واسطة، أما الحالات التي

ورد فيها (باسم) بالألف الصريحة بعد الباء، فقد جاءت بلفظ التسبيح والتنزيه، أو القراءة، فهي تحتاج إلى إمعان النظر والتدبير، ولذلك جاءت بالرسم بوضع الألف الموصولة، وقد وردت أربع مرات ولم يأت بعدها لفظ الجلال، ولكن أتى

---

١ الآية ٤٤ من سورة. الحجر

٢ ينظر: الزركشى: البرهان في علوم القرآن، ج١،ص٣٩٣ ٣ الآية ٤١ من سورة هود

٤الآية ٣٠ من سورة النمل

بعدها كلمة (ربك)، نحو: "فسبح باسم ربك العظيم(١)و "اقرا باسمربكالذيخلق(٢)(٣)

وإنك إن، استطلعت الكلمات المفارقة للرسم المعروف في القرآن الكريم، فستخلص إلى نتيجة حتمية، انها تخرج في مفارقتها وتناقضها الداخلي عن علة مطردة، وان من يتعلل لها، سيتعسف في حكمه، ويقصر عن غايته، ولا يسعفه الرسم العثماني بتناقضه في نظامه الكتابي، في نفس الكلمة المفارقة، الأمر الذي يؤكد انعكاس تعدد كتاب الوحي لمناهجهم الكتابية في الرسم العثماني، وبهذا يصلح تفسير اختلاف الرسم للكلمة الواحدة في نظام الرسم العثماني، ويستقيم فهم هذا الاختلاف الداخلي. ومما كثر فيه الحذف للألف في اسماء الفاعلين مثل: (قدر اي قادر) و (علم اي عالم) وذلك ان هذه الألف في وسط الكلمة، وكذلك الألف الزائدة في الجموع السالمة والمكسرة، مثل: (القنتين اي القانتين)، و(الأبرر اي الأبرار)، وفي كلمات مثل: (الجلل اي الجلال)، و(الإكرم اي الإكرام)، و(اختلف اي اختلاف)، و(استكبر اي استكبار)، فإنها كلها وردت لمعنى مفصل يشمل عليه معنى تلك اللفظة فتحذف حيث يبطن التفصيل مفصل، يشمل عليه معنى تلك اللفظة، فتحذف حيث يبطن التفصيل، وتثبت حيث يظهر، وكذلك الف الأسماء الأعجمية، كإبرهيم (ابرهيم) لأنها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي، لأن العجمي بالنسبة إلى العربي باطن خفي، لا ظهور له، فحذفت الفه (٤) علما ان هذا التعليل مخالف لبعض الأسماء الأعجمية الأخرى كطالوت وجالوت، ونقل

الزركشي عن ابي عمرو قوله: "اتفقوا على.حذف الألف من الأعلام

١ الآية ٣ من سورة الواقعة
٢ الآية ١ من سورة العلق
٣ ينظر: الشيخ: الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثمانى،ص٦٢-٦٣
٤ ينظر: الزركشى: البرهانفيعلوم لقرآن، ج١،ص٣٩١

الأعجمية كإبرهيم واسمعيل وإسحق، وهرون، ولقمن، وأما حذفها من سليمن وصلح(أي صالح) وملك (أي مالك) وليست بأعجمية فلكثرة الاستعمال... وكذلك اتفقوا على حذف الألف في جمع السلامه، مذكر كان كالعلمين والصبرين والصدقين أو مؤنثا كالمسلمت والمؤمنت والطيبت والخبيثت، فإن جاء بعد الألف همزة أو حرف مضعف ثبتت الألف، نحو: السائلين والصائمين والظانين والضالين وحافين ونحوه(١) .
وفي مثل هذه الكلمات أعياهم البحث عن علل وأسرار، وقل قولهم فيها على التفصيل، وتركوا البحث عن الدلالة المعجزة إلى التعليل بالبنية، والتفسير للوصف فقط، من مثل: ثبوت الألف في بعض الجموع، لأنها جاءت بعد الهمزة، أو بعد حرف مضعف.
- حذف الواو:
يمكن تصنيف تعليلهم في هذا الحذف إلى وجهين:
الأول: حذف حرف الواو اكتفاء بالضمة، وقصدا للتخفيف، فإذا اجتمع واوان والضم تتحذف الواو التي ليست عمدة، وتبقى العمدة، سواء كانت الكلمة فعلا، مثل: ""ليسئوا وجوهكم(٢) ، أو صفة، مثل "وإذا الموءدة سئلت(٣) وقوله تعالى: "فكبكبوا فيها هم والغاون(٤) أو اسما، مثل: "وداود وسليمن(٥).

1نفسه،ج١،ص ٣٩٢
٢ الآية ٧ من سورة الإسراء
٣الآية٣منسورة التكوير
٤ الآية ٩٤ من سورة الشعراء

٥ الآية ٨ ٧ من سورة الأنبياء

الثاني:
سقطت الواو من أربعة أفعال دلالة على سرعة وقوع الفعل، ويسارته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل للتأثرية في الوجود، مثل قوله تعالى: "ويمح الله الباطل(١) علما أنها وردت في القرآن مثبتة في سور الرعد: "يمحو الله ما يشاء(٢) وكذلك حذفت في قوله تعالى: "ويدع الإنسن(الإنسان) بالشر(٣) وحذفها يدل على السهولة، والمسارعة في الفعل، وقوله تعالى: "يوم يدع الداع(الداعي) إلى شيء نكر(٤) حذفت الواو لسرعة الدعاء وسرعة الاستجابة أما قوله تعالى: "سندع الزبانية(٥) حيث وردت بدون واو، وتعليل ذلك حسب قولهم أن "مجيء الفعل المضارع المعتل الآخر بدون حرف العلة بدون جرم دليل على سرعة الحدوث وشدة العقاب الواقع على المجرمين، كما تدل على سرعة استجابة الربانية، وسرعة تنفيذ العقاب الواقع بالمجرمين(٦) .

- حذف الياء:

سأذكر في هذا الموضوع بضع كلمات حذفت فيها الياء في الرسم العثماني، بما يوضح منهجهم في تلفيق العلل والحكم، ثم أذكر مجموعة من الكلمات التي وردت بالرسم العثماني بدون ياء، وأكتفي بالكسرة عوضا عنها؛ الأمر الذي يؤكد أن شأن الحركات القصيرة والطويلة كان فيه خلط واضح في الرسم، ربما لطبيعة اللهجات بين مد وقصر، وما يعتريها أحيانا من الحذف عند الجزم، علما أن الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة فرق في الكمية الصوتية فقط، وهذا ما أخاله أدخل عليهم هذا الالتباس في عهد لم تتأصل قواعد الكتابة والنحو فيه

---

١ الآية ٢٤ من سورة الشورى

؟الآية ٣٩ من سورة الرعد

٣ الآية ١١ من سورة الإسراء
٤ الآية ٦ من سورة القمر
٥ الآية ١ ٨ من سورة العلق
٦ الشيخ الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني ص ٨٠

يقول الزركشي: "حدف الياء اكتفاء بالكسرة نحو: فارهبون، فاعبدون، قال أبو العباس: الياء الناقصة من الخط ضربان؛ ضرب ححذوف في الخط ثابت في التلاوة، وضرب محدوف فيهما، فالأول: هو باعتبار ملكوتي باطن، وينقسم إلى قسمين؛ ما هوضمير المتكلم، وما هو لام الكلمة...
والضرب الثاني: الدي تسقط فيه الياء في الخط والتلاوة؛ فهو اعتبار غيبة عن باب الإدرك جملة، واتصاله بالإسلام لله في مقام الإحسان، وهو قسمان: منهضمير المتكلم ومنه لام الفعل(١) .
ثم يذهب في استعرض أمثلة على كل ضرب محاولا تلفيق العلل الخفية والأسرار البهية لها، فمن الضرب الأول: قوله تعالى: "فكيف كان عذابي ونذر(٢) وقوله تعالى: " فما ءاتن (آتاني) اللهخيرمما ءاتكم(آتاكم)(٣) وقوله تعالى: "فلا تسئلن(تسألني) ما ليس لك به علم,,(٤)وفرق بينها وبين قوله تعالى: "فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا (٥) حيث ثبتت الياء على أن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد، كخرق السفينة، بينما فيما حدفت ياؤه كان المسئول غيبا ملكوتيا، وقوله تعالى: "لئن أخرتن إلى يوم القيامة(٦) عللها بالتأخير بالمؤاخدة لا التأخير الجسمي، وهو بخلاف قوله تعالى: "لولا أخرتني إلى أجل قريب(٧) لأن هدا تأخر جسمي في الدنيا الظاهرة، فثبت الياء على حد قوله.
ومن الضرب الثاني: كان الحذف في خواتم الآي كثير جدا، مثل الكلمات: فاتقون، فارهبون، ليعبدون، يطعمون، إن يردن...

---

١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ج١ص٣٩٨-٤٠٣
٢ الآية ١٦ من سورة القمر
٣ الآية ٣٦ من سورة النمل
٤ الآية ٤٦ من سورة هود
٥ الآية ٧٠ من سورة الكهف
٦ الآية ١٠ من سورة المنافقون

فمثلا دلالة الحذف في قوله تعالى: "فلا تخشوهم واخشون(١) فالدلالة كلية للناس عامة دون أعيانهم أو موصوفين محددين، فالخشية هنا كلية لشيء غير معلوم الحقيقة، وهدا الحذف بخلاف ما جاء في سور البقرة: "فلا تخشوهم واخشوتي(٢)

حيث ثبتت الياء؛ فجعل الدلالة خاصة بالذين ظلموا، فهم بعض لا كل، فالخشية هنا جزئية(٣) .
وهناك أمثلة أخرى من الكلمات التي يقع فيها الحذف للياء من القرآن الكريم، علما أن بعضها تثبت في مواطن أخرى من القرآن، مثل: "يا عباد (٤) وهي بالحذف و "يا عبادي(٥)وهي بالثبوت، قوم، يؤت (دون جزم)، هاد (مضافة)، الواد، وقبل الانتقال من هذا الموضوع أود أن أتناول كلمة (إبراهيم) في القرآن، حيث جاءت بثبوت الياء ما عدا ورودها في سورة البقرة بدون ياء، قال تعالى: "وما أنزل إلى إبرهم(٦) علما أن إبرهيم سمي في التوراة قبل عهد الله معه، أو ما يسم بعهد الختان (أبرام)، "ظهر الرب لأبرام وقال الله له: أنا الله القدير، سر أمامي كاملا، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثير جدا... وتكون أبا لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد اليوم أبرام بل يكون إبراهيم(٧) فهل هذا الخلاف في الاسم في الرسم العثماني يدل على حكمة وعلل وأسرار أم إنه بلهجة قريبة من الشام تدعو إبراهيم أبرهام أو أبراهم؟!

---

١ الآية ٣ من سورة المائدة

٢ الآية ١٥٠ من سورة البقرة
٣ الزركشي البرهان في علوم القرآنج١ ص٣٩٣-٤٠٤
٤ الآية ٦٨ من سورة الزخرف و الآية ١٠ من سورة الزمر ٥ الآية ٥٥ من سورة الزمر والآية ٥٦ العنكبوت ٦ الآية ١٣٦ من سورة البقرة
٧ الكتاب المقدس الطبعة٣ القاهرة ٢٠٠٤ التكوين ١٧: ١-٥ص ١٦

- حذف اللام في كلمة الليل:
"وردت كلمة الليل في القرن الكريم ٧٤ مرة، كلها بلام واحدة، مخالفة بذلك الرسم الإملائي المعروف... ونقص الحرف في كلمة الليل يوحي بقصر الليل فترة الراحة
والهدوء على قرير العين، وإن كان يبدو طويلا على من بات مؤرقا مسهدا... أما كلمة النهار فقد وردت الكلمة ٥٤ مرة بالصور العادية، دون حذف، وفي ذلك إيحاء بأن وقت النهار

كامل، يكون لكسب الرزق، والسعي على أمور العيش وأداء العبادات(١)
ولا أرى الحقيقة في رسم هذه الكلمة يتعدى أن يكون طريقة في الكتابة قائمة على إدغام لام أل التعريف باللام الأصلية، مثل كلمة التي والذي، وهذا خلاف ظل ممتدا بعد الرسم العثماني لاعتبارت لغوية لا دينية.
٠ دلالة الزيادة
زيادة الألف:
وهي إما أه تزاد في أول الكلمة أو من آخرها أو من وسطها... فالأول: مثل "لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه(٢) زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد في الوجود من وسأعرض لحالة اختلفت فيها المصاحف رسما على حرفين (وجهين)، حيث جاءت مرة بزيادة، ومرة المقدم عليه لفظا ، فالذبح أضط العذاب دون زيادة، لنرى كيف سيلفقون حكما لها، وهي قوله تعالى من سور الصافات: "لا إلى الجحيم(٤) ومن سور آل عمران: "لا إلى الله تحشرون(٥) فمن رى أن مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم وشرب الحميم، وأن حشرهم إلى الله أشد عليهم من موتهم أو قتلهم في الدنيا أثبت الألف،

---

١ الشيخ الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني ص١٠٨
٢ الآية ٢١ من سورة النمل
٣ الزركشي البرهان في علوم القرآن ج١ص٣٨١
٤ الآية ٦٨ من سورة الصافات
٥ الآية ١٥٨ من سورة آل عمران

ومن لم ير ذلك لأنه غيب، فلم يستو القسمان فى العلم بهما لم يثبته، وهو أولى(١) انظر كيف التحكم والتلفيق واضح وضوح الشمس إلا على (المضبوعين) بما توهموا ٠ ٠ رسم المصحف كان بأكثر من طريقة كتابية للكلمة زمن النبي الأمين لنفس الآيات، بما ينقض بعضه بعضا وليستتلي تلفيقا لكل حالة، ويسمونه حكما وأسرارا؟!
ومن الكلمات التي زيدت الألف في أولها: لأاوضعوا (بحسلب رسم بعض المصاحف)، تايئسوا،
وأما زيادة الألف في آخر الكلمة، "فهو معنى خارج عن الكلمة ظهر في الوجود؛ حيث وردت الكلمات: يدعوا- يرجوا- أتلوا- أشكوا، بزيادة الألف في آخرها، ليزيد مبنى الكلمة، وليزيد

معناها تبعا لذلك، مثل كثرة الدعاء في يدعوا، كثرة الرجاء في (يرجوا)، وكثرة التلاوة في (أتلوا)، وكثر الشكوى في (أشكوا)، وكل هذه الأفعال أصلها بدون ألف(٢) علما أن الرسم العثماني يضطرب اضطرابا شديدا في الألف آخر الكلمة، فنجده يثبتها أحيانا في موقع الحذف، كما ذكرنا سابقا، ونجده يحذفها في موقع الاثبات مثل الكلمات الآتية: جاءو، فاءو، سعو، تبوءو، عتو، باءو، السبيلا، الظنونا، الرسولا.

وأما الألف في وسط الكلمة: فهي للدلالة على" التي يعرف معناها ظاهرا في حياتنا الدنيا، مثل: "وجائ يومئذ بجهنم(٣)وجائ بالنبيين والشهداء(٤) وهو بمعنى البروز في المحشر لعظم حساب الخلق(٥) .

---

١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ج١ ص٣٨١- ٣٨٢
٢ شعير الإعجاز القرآني في الرسم العثماني ص٧٣-٧٤
٣ الآية ٢٣ من سورة الفجر
٤ الآية ٦٩ من سورة الزمر
٥ شعير الإعجاز القرآني في الرسم العثماني ص ١ ٨

ومن الكلمات المزيدة بالف في وسطها: شاىء، في قوله تعالى: ...إني فاعن ذلك غدا(١)وهو ما يخالف قوله تعالى: "إنما قولنا لشيء إذا أردنه(٢) حيث هنا خفي علينا علم الأشياء، كما يعلمها الله تعالى، ومن الكلمات أيضا: ملإيه (الملأ)، مائة، مائتين.

- زيادة الواو:

يقول الزركشى: " زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود، في أعظم رتبة في العيان، مثل: "سأوريكم دار الفسقين(٣) (الفاسقين)، و "سأوريكم آيات(٤) ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد، وكذلك (أولى) و (أولوا) و (أولات)، زيدت الواو بعد الهمزة، حيث وقعت لقوة المعنى...، وكذلك زيدت في (أولئك) و (أولائكم)، حيث وقعا بالواو؛ لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة في الوجود، وليس للفرقة بينه وبين (أولئك) (أظنه يقصد إليك) كما قاله قوم لانتقاضه (بأولا)(٥)

وإذا أمعنا النظر فيما ذكر الزركشي في الكلمات: (أولوا) و(أولات) و(أولئك) و(أولائكم) في زيادة الواو تأكد لنا أن زالت تستخدم على زيادتها في الكتابة القواعدية، وليس ذلك لما ذهبوا إليه من تعليل، وأسرار خاصة بالقرآن؛ لأنها تستخدم بنفس الرسم في غير كتابة المصحف، وانما هي حالة في الكتابة غير ناضجة فرضتها تلك الظروف في أوليات النشأة لهذا العلم، مع غياب الضبط والتنقيط، وظلت سائر دون تغيير، والرسم العثماني للمصحف كان ضحية تلك الصنعة الخداج، وذلك الفن الكتابي الوليد جديدا محاولا أن يحبو ويتقدم.

---

١ الآية ٢٣ من سورة الكهف
٢ الآية ٠ ٤ من سورة النحل
٣ الآية ه ١٤ من سورة الأعراف
٤ الآية ٣٧ من سورة الأنبياء
٥ الزركشي في البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٨٦

- زيادة الياء:
جاءت زيادة الياء في تسعة مواضع من القرآن الكريم، كما أشار لذلك الزركشي، معللا الزيادة لاختصاص ملكوتي باطن،
ومواضعها هي: "أفإين مات"(١)"من نبإى المرسلين"(٢)"من تلقإى نفسي" (٣) وايتإى ذي القربى"(٤)"ومن آنإى اليل"(٥) "أفإين مت"(٦) "من وراءى حجاب"(٧) "والسماء بنيناها بأييد" (٨) "بأييكم المفتون" (٩)(١)
وسأتناول منها موضعين؛ الأول: قوله تعالى: "والسماء بنيناها بأييد"، الآية تتحدث "عن مطلق قدر الله تعالى وعظمته، ولذلك جاء الاختلاف في المبنى لزيادة المعنى، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوت في الوجود"(١ ١)
وقال السيوطي: "زيدت اللفظة في بأييد تعظيما لقوة الله تعالى التي بنى بها السماء التي لا تشبهها قوة""(١٢)
والموضع الثاني في كلمة (أفإين)؛ حيث زيدت بعد الهمزة ياء لأن موته مقطوع به"(١ ٣)

---

١ الآية ١٤٤ من سورة آل عمران
٢الآية ٣٤ من سورة الأنعام

٣ الآية ١ ٥ من سورة يونس
٤ الآية ٩٠ من سورة النحل
٥ الآية ١٣٠ من سورة طه
٦الآية ٣٤ من سورة الأنبياء
٧ الآية ١ ٥ من سورة الشورى
٨ الآية ٤٧ من سورة الذاريات
٩ الآية ٦ من سورة القلم
١٠ الزركشي البرهان في علوم القرآنج١ ص ٣٨٦- ٣٨٧
١ ١ الشيخ الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني ص ٥٣-٥ ٤
١٢ المكتبة الشاملة الإتقان في علوم القرآن السيوطي ج٢ ص٨ ٤
١ ٣ الشيخ الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني ص ٥٤

الهمزة

لكتابة الهمزة قواعد معروفة فيما يتعلق بحالاتها الثلاثه؛ في أول الكلمة، وهي الوصل والقطع، وفي وسطها، وهي المتوسطة، وفي آخرها، وهي المتطرفة.
سأتناول في هذا الموضوع بعض الحالات؛ فيما يتعلق بالمتوسطة والمتطرفة، وذلك لشيوع هذه المخالفة في الرسم العثماني.

-كلمة: رأى - رءا:

كلا الكلمتين رسمتا في المصحف العثماني في أكثر من موضع، قال تعالى: "فلما جن عليه اليل رءا كوكبا"(١)وقال تعالى: "وهم بها لولا أن رءا برهن ربه"(٢) وهناك الكثير من الآيات على هذا الرسم.
وأما الرسم الآخر فمنه قوله تعالى: " ما كذب الفؤاد ما رأى"(٣) وقوله تعالى: "لقد رأى من ءايت ربه الكبرى"(٤)ويعلل أصحاب التوقيف في الرسم العثماني ذلك بقولهم: "كما ترى أن كلمة (رءا) تعني الرؤية البصرية، وهي رؤية بصرية محدودة تصيب، وتخطئ، ولا تحيط بكل شيء... غير أن القرآن حينما يتكلم عن الرؤية البصرية النافذة يستخدم كلمة (رأى)، ولذا وردت كلمة (رأى) بخطها العادي، وهي خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم، حينما بلغ السماوات العلى، وسدرة المنتهى خلال رحلة المعراج؛ حيث كانت الرؤية الحقة (ما زاغ البصر وما طغى)" (٥) وبنظرة غير متعصبة لرأي التوقيف ينكشف تعسفهم فيما

حاولوا، لقد قرروا أن سر ذلك في اقتران الرسم (رءا) بالرؤية البصرية العينية، و (رأى) بالرؤية القلبية البصيرية،

---

١ الآية ٧٦ من سورة الأنعام
٢ الآية ٢٤ من سورة يوسف
٣ الآية ١١ من سورة النجم
٤ الآية ١٨ من سورة النجم
٥ شعير الإعجاز القرآني في الرسم العثماني ص ٩٢

وإذا عرضنا الآية من سورة يوسف: "وهم بها وهمت به لولا أن رءا برهان ربه"(١) لا تحمل دلآلة قاطعة على الرؤية العينية، وإنما هو تفسير ورأي غير مسلم به، كما هو تحكم بالنص لإنزاله على منهج مختار مسبقا دون غير، وأما رسم الكلمة في (رأى) للدلالة على الرؤية البصرية، فمتناقض مع قوله تعالى: "ما زاغ البصر وما طغى"(٢) لمن ذهب مذهب الرؤية العينية، وهذا أمر خلافي بين الصحابة الكرام وكثيرمنالعلماء(٣)
وسأتناول كلمة أخرى وقع فيها الاضطراب في كتابة الهمزة المتطرفة، وهي:
-الملأ، الملؤا:
سأعرض لآيتين فقط وردت فيها هذه الكلمة للاختصار: قال تعالى: "٠ فقال الملؤا الذين كفروا من قومه "(٤)وقال تعالى: " فقال الملأ الذين كفروا من قومه " (٥)
كيف يفسر أصحاب القول بالتوقيف في الرسم العثماني هذا الاختلاف في صور الكلمة رغم تشابه السياق بينهما؟!
يجعلون الملأ طبقات، طبقة دون طبقة، ويزعمون أن الرسم في الكلمة الأولى للطبقة العظيمة، والأخرى لمن دونهم(٦)وهذا تحكم واضح دون مسوغ مقنع، إنما هو التلفيق لما ابتدعوه ثم البحث عن المخرج بأي وهم كان...
وهذه مجموعة من الكلمات المهموزة وفق الرسم العثماني:
تفتؤا، نبؤا، أنبؤا (أنباء)، يبدؤا (يبدأ)، علمؤا (علماء)، جزؤا (جزاء)، شركؤا (شركاء)، الضعفؤا، البلؤا، شفعؤا، دعؤا (دعاء)، نشؤا (نشاء)، تظمؤا، أبنؤا(أبناء)

---

1 الآية ٢٤ من سورة يوسف
٢الآية١٧منسورة النجم

٣ ينظر: ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد: شرح العقيدة الطحاوية، ط٩ ، بيروت: مؤسة الرسالة، ١٩٩٦م،ج ١ ، ص٥ ٢٧
٤ الآية ٢٤ من سورة المؤمنون
٥ الآية ٧ ٢ من سورة هود
٦ ينظر: شعير: الإعجاز القرآني في الرسم العثماني، ص٩٤

البدل
"فيما كتبت الألف فيه واوا على لفظ التفخيم، وذلك في أربعة أصول مطردة، وأربعة أحرف متفرعة، فالأربعة ا لأصول هي: (الصلوة) و(الزكوة) و(الحيوة) ووالربوا)، والأربعة الأحرف قوله في الأنعام والكهف: (بالغداوة)، والنور (كمشكوة)، وفي المؤمن- غافر (النجوة) -أي النجاة- وفي النجم (ومنوة).. والقصد بذلك تعظيم شأن هذه الأحرف، فإن الصلاة والزكاة عمودا الإسلام، والحياة قاعدة النفس، ومغتاح البقاء، وترك الربا قاعدة الأمان، ومغتاح التقوى.. وأما كتاب (النجوة) بالواو؛ فلأنها قاعدة الطاعات، ومفتاح السعادات... وأما الغدوة فقاعدة الأزمان، ومبدأ تصرف الإنسان مشتقة من الغدو، وأما (المشكوة) فقاعدة الهداية، ومفتاح الولاية... وأما (منوة) فقاعدة الضلال، ومفتاح الشركة والإضلال"(١) وجماع الأمر كله أن هذه لهجة قريش في تفخيم الألف وإشمامها؛ لذلك هي أقرب في السماع للواو منها للألف؛ فكتبت واوا، ولا علاقة لتلك الأسرار والحكم الظنية التي تلفق تلفيقا، فانظر كيف يجعلونها لتعظيم الصلاة والزكاة إيجابا، ثم عند استخدامها في الربا ومناة مفخمة لضدها بالسلب؟!!

---

(١)الزركشى: البرهان في علوم القرآن، ج١،ص ٤٠٩- ٤١٠ ٠

مد التاء وقبضها

علة الاختلاف في كتابة التاء المربوطة بالمبسوطة، كما يذكر الزركشي، هو "أن هذه الأسماء لما لازمت الفعل، صار لها اعتباران: أحدهما من حيث هي، أسماء وصفات، وهذا تقبض منه التاء، الثاني من حيث أن يكون مقتضاها فعلا وأثر ظاهرا في الوجود، فهذا تمد فيه"(١) ومن هذه الكلمات: رحمت، نعمت، سنت، بقيت، فطرت، شجرت،
قربت، كلمت، لعنت، معصيت، جنت، وجدت مبسوطة عللت بالتعظيم والخصوصية، أو أمر ملكوتي سماوي، والأثر بالفعل، كقوله تعالى: أهم يقسمون رحمت ربك"(٢)وأما قوله تعالى: "درجت منه ومغفرة ورحمة"(٣) حيث قبضت، فهي تدل على الرحمة العامة أو العاجلة، وفي قوله تعالى: "إن شجرت الزقوم، طعام الأثيم"(٤)وقوله سبحانه: "أذلك خير نزلا أم شجرالزقوم" (٥)وحيث مدت فهذه بمعنى الفعل اللازم لها، وهو تزقمها بالأكل، وحيث قبضت فهي حلية للاسم(٦(. والحقيقة أن من تابع اختلافِ الرسمِ للتاء المربوطة لا يجدها تخضع لقاعدة

مطردة، شأنها شأن كل الاختلاف بالرسم العثماني، وربما سبب ذلك أن هذا العمل الكتابي وهو المصحف الشريف كان عملا مشتركا بين مجموعة من الكتاب، كل يكتب بحسب نظامه الكتابي حينذاك، وما عرفه قبل أن تتوحد الأمة في علومها، أشبه ما ينتج عن تنوع المدارس والمذاهب اللغوية، علما أن كتبة الوحي لم يكونوا يجتمعون جميعا عند كتابة النص الواحد، وانما كان الحاضر منهم يستخدمه الرسول الكريم بالكتابة، أو يستدعيه لهذا الغرض.

---

١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٤١٠ - ٤١١
٢الآية ٣٢ من سورة الزخرف
٣الآية ٩٦ من سورة النساء
٤ الآيتان ٤٣ و ٤٤ من سورة الدخان
٥ الآية ٢ ٦ من سورة الصافات
٦شعير الإعجاز القرآنيفي الرسم لعثماني ص ١٣٠-١٣١

الوصل والفصل

"اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلمتين في الخط، كما توصل حروف الكلمة الواحدة، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط؛ كما تفصل كلمة عن كلمة"(١) ومن ذلك:
إنما - إن ما، كلما - كل ما، أينما - أين ما، بئسما - لبئس ما، فيما -في ما، لكيلا - لكي لا، يبنؤم - ابن أم.
سأتناول من ذلك حالتين لنرى كيف يعلل هذا الاختلاف: كلما/ كلما: فقد وردت موصولة في ٢ ٨ مرة في القران، وجاءت مفصولة في ثلاثة مواضع (٢)
قال تعالى: "كل ما جاء أمة رسولها كذبوه"(٣) حيث إن "الأمم مختلفة في الوجود فحرف (ما) وقع على تفاصيل موجودة لتفصل وهذا بخلاف قوله تعالى: "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم"(٤) والمخاطبون على عهد النبي لم يقتلوا الأنبياء، وإنما باشر آباؤهم، ولكن مذهبهم في ذلك واحد، فحرف (ما) إنما يشمل تفاصيل الزمان، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود، إلا بالفرض والتوهم" (٥)

---

١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ج١ص ٤١٧

٢ الشيخ الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني ص١٠٣
٣ الآية ٤٤ من سورة المؤمنون
٤ الآية ٨٧ من سورة البقرة

٥ الشيخ الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني ص١٠٣-١٠٤

- لكيلا/ كي لا يقول الزركشى في (لكيلا): "موصولة في ثلاثة مواضع، وباقيها منفصلة، وإنما يوصل حيث يكون النفي داخل على معنى كلي فيوصل، لأن نفي الكلي نفي لجميع جزئياته، فعنة نفيه هي علة نفي أجزائه، وليس للكلي المنفي أفراد في الوجود وإنما ذلك فيه بالتوهم، ويفصل حيث يكون حرف النفي داخل على جزئي، فإن نفي الجزئي لا يلزم منه نفي الكلي؛ فلا تكون علته علة نفي الجمع، "لكيلا يعلم من بعد علم شيئا"(١) فهذه هي الموصولة وهي بخلاف: "لكي لايعلم بعدعلم شيئا" (٢) لأن الظرف في هذا خاص الاعتبار، وهو في الأول عام الاعتبار لدخول (من) عليه""(٣) وأيضا هذا تحكم واضح، فلك أن تجعل (من) للتبعيض فتكون معنى جزئيا، ولك أن تجعلها لبيان الجنس فتكون معنى كليا، وخصوصا أن الآيتين بنفس الكلمات وبنفس السياق والمعنى، فأين تذهبون؟!

· ما فيه قراءتان

هذا الموضوع يحتاج لبحث مستقل؛ حيث إن الاختلاف في الرسم بين نسخ المصاحف كان مدعاة لظهور قرءات عديدة، كما أن طريقة الرسم، كانت مدخلا لتنوع القراءة، سواء ذلك لغياب التنقيط والضبط، أو لطريقة الرسم العثماني، بالزيادة أو النقصان، مثل رسم كلمة(ملكمالك) من سور الفاتحة، فمنهم من يقرأها بحركة قصيرة فوق الميم، ومنهم من يقرأها بحركة طويلة بعد الميم، و "يبدو أن ابن مسعود رضي الله عنه كان أكثر الصحابة خروجا على المصحف الإمام، والذي يراجع كتاب المصاحف للسجستاني يلمس هذه الحقيقة، فقد شغلت روايات اختلافه من الصفحات تسع عشرة من (٥٤-٧٣) ومن السور تسعا وأربعين،

---

١ الآية ٥ من سورة الحج
٢الآية ٧٠ من سورة النحل
٣ الزركشي البرهان في علوم القرآن ج١ص٤٢٠-٤٢١

في حين لا تعدو مخالفة أي صحابي آخر للمصحف الإمام بضع آيات على أكثر تقدير...(ومن الأمثلة على هذه المخالفات) قوله تعالى: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى"(١) "وتزدوا وخير الذاد التقوى"، وقر قوله تعالى: "وأتموا الحج والعمرة لله "(٢) "واقيموا الحج والعمرة للبيت"، وقرأ سورة العصر: "والعصر إن الإنسان لفي خسر وانه فيه إلى آخر الدهر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر"(٣)
وفي هذا الموضوع سأعرض لحالتين من الاختلاف في الرسم العثماني من حيث التقارب الصوتي بين السين والصاد؛ لننظر كيف يعللون ذلك، ففي قوله تعالى: "إن الله اصطفه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم"(٤) وفي قوله تعالى: "وزادكم في الخلق بصطة"(٥) حيث رسمت كلمة (بسطةابصطة) في الآية الأولى بالسين، وفي الثانية بالصاد، فكيف يعلل أصحاب الأسرار في الرسم العثماني هذا الاختلاف؟

يقولون: "إن الآية الأولى تشير إلى بسطة العلم والجسم... مكتوبة بحرف السين وهو من حروف عدم الاستعلاء؛ مما يعني أن البسطة في القيمة، وفي المعنى، وهي في حق طالوت ملك بني إسرائيل، وأما كلمة (بصطة) في الآية الثانية بالصاد، وهو من حروف الاستعلاء، مما يعني أن البسطةفي لجسم فقط"" (٦)

1 الآية ١٩٧ من سورة البقرة
٢ الآية ١٩٦ من سورة البقرة
٣ شاهين عبد الصبور أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمر بن العلاء ط١ القاهرة مكتبة الخانكي ١٩٨٧ص٨٣-٨
٤ الاية ٢٤٧ من سورة البقرة
٥ الآية ٩ ٦ من سورة الأعراف
٦ شعير الإعجاز القرآني في الرسم العثماني ص ١٦١-١٦٢

وأما تعليلهم لقوله تعالى: "الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر"(١) حيث رسمت بالسين وقوله سبحانه والله يقبض وبيصط وإليه ترجعون " (٢) حيث رسمت بالصاد، فيقولون: ٠بالسين السعة الجزئية، يدلك عليه التقييد، وبالصاد السعة الكلية، ويدل عليه معنى الإطلاق، وعلو الصاد مع لجهار والإطباق"(٣)
ويكفي لنقض ما ذهبوا إليه أن من القراءات الصحيحة للقران قراءة ما ورد بالصاد فيما ذكرنا سابقا- على السين.

١ الآية ٢٦ من سورة الرعد

٢ الآية ٢٤٥ من سورة البقرة-

٣ شعير: الإعجاز القرآنى فى الرسم العثمانى، ص١٦٢

الخاتمة

لقد أعددت بحثي هذا حول الرسم العثماني للقران العظيم، وخلصت فيه إلى أن الخط العثماني في اختلافه عن الخط العادي النحوي، لا يحتوي أي علل أو حكم أو أسرار، كما لفق لذلك العلماء باجتهاداتهم الظنية والمتناقضة حول الصور المختلفة للرسم، والمخالفة لقواعد الكتابة المتقنة نسبيا، وكل ما في الأمر أن هذه الكتابة القرآنية تعبر عن مرحلة من مراحل الكتابة لم تكن قد نضجت كفاية، ولا اصطلح على قواعدها، نظر لتنوع اللهجات العربية وقتئذ، وضعف النشاط الكتابي العربي أنذاك.. الأمر الذي كشف عن قصور وتعارض داخل الرسم العثماني لتعدد الكتبة حينئذ، واختلاف بيئاتهم، وتباين مصادر تعلمهم ولهجاتهم، علما أن هذا الاختلاف لاحظه من تلاهم من العلماء في صدر الإسلام، ولكنهم تجاوزوا تعديله تبركا بكتابة الصحابة؛ لعظم شأنهم، ثم تلا ذلك من المتأخرين ما ينظر إلى تلك المخالفات على أنها توقيفية ينطوي وراءها حكم وأسرار ودلالات... لا تتأتى للباحث إلا بتأويل متكلف، وتلفيق مضطرب. وثمة عوامل أدت إلى هذا الرسم، منها ما يعود إلى النظام الصوتي، مثل الحذف والزيادة المتعلقة بالحروف المدية، نظر للحركات الناشئة عن اللهجات بين قصير وطويلة، ومنها النظام النحوي، فيما يتعلق بحذف حروف العلة من آخر الأفعال الناقصة في غير محل الجزم لتوهم في ذلك، علما أنها تلفظ في القراءة، ومنها النظام الصرفي في مجال الإعلال بالقلب، وكذلك الإدغام، حيث بالإمكان القيام بدراسات متخصصة في هذه المجالات كل على حده. ويمكن اصلاح الرسم العثماني باعتبار انه ليس توقيفيا بما يتفق مع عرف الكتابة العربية والقواعدية المتطور مع الاحتفاظ في هامش المصحف أو جانبه أو فوق الكلمة بخط مخالف على صور الكلمة كما جاءت في تراثها العثماني.

المصادر والمراجع

** ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد: شرح العقيدة الطحاوية، ط٩، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦ م
ابن أبي داود، السجستاني: كتاب المصاحف، ط٢، تحقيق: محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية،

بيروت، ٢٠٠٢م ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر،
د.ت.
الجاحظ، أبو عثمان عمرو: البيان والتبيين، دار إحياء الترث العربي، بيروت، ١٩٦٨م
الرزكشي، بدر الدين محمد: البرهان في علوم القرآن، دار الترث، القاهرة، د.ت.
الشنقيطي، محمد العاقب: كشف العمى، ص ١٩١ ١٩٠١ ء.
٠اه٩٠اا٣ا.؛دهد:٣|»١٦ ا/ خزنة المنظومات العلمية
الشيخ، حمدي: الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني، منشأة المعارف، اسكندرية، ٢٠٠٠م
الكتاب المقدس، ط٣، القاهرة، دار الكتاب المقدس، ٢٠٠٤م
المكتبة الشاملة ل ٠ ؛ الاتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي
أنيس، إبرهيم: في اللهجات العررية، ط٩، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م
* جمعة، إبراهيم: قصة الكتابة العربية، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٩٤٧ م
شاهين، عبد الصبور: أنر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمر بن العلاء، ط١ ، القاهر، مكتبة الخانجي، ١٩٨٧ م،
شعير، عبد المنعم كامل: الاعجاز القراني في الرسم العثماني، د.ت
ويكيبيديا، الموسوعة الحرة الشكل والنقط